ذاكرة عراقية
ملحق اسبوعي يصدر عن مؤسسة المدى للاعلام والثقافة والفنون

ياسين الهاشمي .. سياسي من القرن الماضي

يعتبر ياسين الهاشمي (١٨٨٤ – ١٩٣٧) ألمع وجه سياسي برز في الساحة العراقية والعربية خلال العشرينيات والثلاثينيات ومن تاريخنا الحديث استقطب الرأي العام حوله واستمال المواطنين اليه لنشاطه السياسي عندما كان يقود معارضة في البرلمان او الشارع يوم تزعم حزب الإخاء الوطني او عند تسنمه الحكم كرئيس للوزراء او وزير في عدة تشكيلات وزارية ظهرت في تلك الفترة .. وقد تميز في شخصيته القوية وبذهن وقاد وذكاء لماح تجسد في كثير من المواقف الى جانب نهجه القومي المتميز تحول الى مدرسة عراقية اصيلة التفكير طبعت سياسته بطابع عربي وبرزبصفة خاصة في السنوات الاخيرة من عمره ما جعل القوميين يعلقون عليه الكثير من الآمال. هذا الملف الذي اعده الصحفي الراحل رشيد الرماحي تعيد ذاكرة عراقية نشرها

ياسين الهاشمي اثناء الحرب العالمية الاولى

ابن مختار البارودية

ولد ياسين في بغداد عام ١٨٨٤ في حي شعبي من احياء بغداد يعرف باسم البارودية ونشا في اسرة متواضعة وكان ابوه السيد سليمان مختارا لذلك الحي وقد سافر ياسين بعد ان اكمل راسته الاولية الى الاستانة حيث التحق بالمعاهد العسكرية وبعد ان تخرج منها ضابطا اشترك في الحروب التي نشأت قبيل الحرب العالمية الاولى ولاسيما في حرب غاليسيا.. حيث اظهر شجاعة فائقة منح بسببها امبراطور ألمانيا وليام غلوب وساماً من الدرجة الاولى وقد تأثر ياسين كغيره من ابناء جيله بالدعوة العربية وانتسب الى جمعية العهد السرية وعمل في حكومة الشام العربية رئيساً للمجلس العربي كما تولى تنظيم الجيش السوري وبعد ان انهار الحكم الفيصلي وجيء بفيصل ليكون ملكا على العراق قدم ياسين الى بغداد وظل يمارس عمله السياسي حتى قدر له ان يخرج من بغداد بعد الانقلاب العسكري الذي قاده بكر صدقي في التاسع والعشرين من تشرين الاول ١٩٣٦ وان يموت في بيروت ليدفن في دمشق.

زعيم وطني ام سياسي عملي

×ماذا يمثل ياسين الهاشمي في تاريخ العراق السياسي ؟. واين تكمن أهمية الدور الذي أداه في حياته السياسية..

. يقول نجدت فتحي صفوت الذي يعمل على تدقيق الوثائق البريطانية المتعلقة في العراق.. يمثل ياسين الهاشمي في تاريخ العراق السياسي الحديث مدرسة خاصة وهو يذكر بعد ابتعاده عن مسرح الاحداث اليومية اربعين عاما زعيما وطنياً وسياسياً رفع لواء المعارضة وخاصم الانكليز وقاوم المعاهدة العراقية البريطانية بان كان في سياسته الطرف المناقض لمدرسة نوري السعيد الذي ظل اسمه لصيقاً بمولاته الإنكليز والسير على ركبهم وتبني السياسة القائلة ان مصالح العراق كانت تقتضي التحالف مع الانكليز والتعاون التام معهم على الدوام في جميع الحالات ومهما كان في هذين الحكمين من تعميم فانهما بقيا السمتين المتميزتين لهذين الرجلين اللذين كانا من ابرز الوجوه السياسية في العراق في العهد الملكي على ان ذلك التعميم الذي قد يكون جائزاً بالاحاديث السطحية لايجوز إطلاقه للدراسات التاريخية العلمية والسياسية فإنها ليست قاصرة على لونين اثنين لا ثالث لهما اسود كالح او ابيض ناصع وانما تقوم بين الاثنين ظلال تتفاوت بين الابيض والاسود درجات ودرجات. والسياسة في جميع الاوقات هي فن الممكن ولذلك اختلفت اساليب السياسيين العراقيين في العهد الملكي بين الإذعان للامر الواقع وقبول الاحتلال فالانتداب والمعاهدات والتعاون مع القوى المستعمرة وبين الرفض التام لكل وجود اجنبي ونفوذ دخيل وإن المطالبة باللاجلاء الناجز والاستقلال التام انما اكسب الهاشمي سمعته كرجل وطني يعود الى سببين: الاول: مواقفه ضد الانكليز ومعارضته معاهدة ١٩٣٠ . والثاني: النهاية المحزنة التي انتهى اليها وخروجه بالقوة بنتيجة انقلاب ووفاته بعيداً عن الوطن وليس بمقدور احد ان يتكهن بما كان سيسجله التاريخ عنه لو امتد به الاجل وعاد الى العمل السياسي.

ابن مختار محلة البارودية رئيساً للوزراء

واذا كان ياسين ونوري يمثلان قطبين متناقضين فكيف تعاونا في وزارة رشيد عالي الكيلاني سنة ١٩٣٣ بل كيف ادخل ياسين خصم المعاهدة للدولة الذي بنى جانباً من سمعته في الاقل على مخاصمة نوري السعيد عاقدها المدافع الاول عن وزير الخارجية لوزارته الاخيرة الواقع ان حياة السياسيين السياسية لما تدرس بعد كما ينبغي لها ان تدرس ، ودور الهاشمي في التاريخ العراقي السياسي القريب يحتاج الى المزيد من التحليل .. فقد ظهرت في السنوات الاخيرة بعض الدراسات الجامعية التي خصصت لسيرته منها إطروحة الدكتوراه التي قدمتها الى جامعة هارفورد الامريكية الآنسة في بي مار واخرى لماجستير قدمها السيد سامي القيسي الى جامعة بغداد ونشرت بعد ذلك في كتاب. على ان هاتين الدراستين فيهما خلل كبير لعدم إفادتهما من الوثائق البريطانية التي تعتمد على مادة غزيرة عن ياسين الهاشمي وكانت تلك الوثائق غير مفتوحة حينما ولذلك مازال المجال واسعا لتقديم او دراسات اخرى عن سيرة ياسين واعتقد ان حياة ياسين بعد ان ابتعد بدرجة تكفي لإصدار حكم موضوعي عليها يجب ان تكون موضع دراسات اخرى وفيها من الامثلة كثيرة في الوطنية.

تتميز حياة ياسين الهاشمي السياسية بمواقف جريئة خدم فيها بلاده خدمة صادقة ولعل ابرز تلك المواقف موقفه من حل مشكلة الديوان العمومية العثمانية التي كان العراق يعاني وطأته بحكم المادة السابعة عشرة من اتفاقية المالية الملحقة بالمعاهدة العراقية البريطانية وبحكم معاهدة لوزان التي اعتمدت القاعدة الدولية التي تقضي بانتقال الديوان العمومية الدولية المتجزئة الى الدول المنسلخة عنها كل حسب من يصيب منها.

بطبيعة الحال كان العراق بوصفه احدى الدول المنسلخة عن الامبراطورية العثمانية يتحمل نصيبه من تلك الديون ويقاسي من أعبائها لاسيما وهو في بداية تكوينه وقد استطاع الهاشمي عندما كان وزيراً للمالية في وزارة العسكري عام ١٩٢٦ ان يلعب دورا جريئا لإنقاذ العراق من الديون الثقيلة التي تعوق تقدمه المالي وتعرقل نموه الاقتصادي فبادر بعد ان درس الموضوع دراسة كافية استوعب فيها المشكلة بكل تفاصيلها بشراء الاسهم المطروحة وبيعها بالاسواق العالمية بأسعار بخسة لإطفاء تلك الديون وتسديدها مرة واحدة.

وقد وازن الهاشمي بين هذه العوامل المختلفة التي تحيط بتلك القضية ولعله يتساءل ايهما أصلح للعراق ان ينتهز هذه الفرصة فيضرب ضربته وينقذ العراق من هذا الحمل الثقيل ام يتراجع مخافة ان يرمى بتهمة اخرى بأحكام الدستور فرجح إنقاذ العراق وقدم على تلك المغامرة دون ان يخبر مجلس الوزراء ودون ان يرجع الى مجلس الامة ويأخذ موافقته كما تقضي ذلك المادة ٩٧ من الدستور العراقي الصادر عام ١٩٢٥ التي تنص على انه لايجوز تخصيص راتب او إعطاء مكافأة او صرف شيء من اموال الخزينة العمومية لاي جهة الا بموجب القانون وقد اثارت هذه العملية ضجة واسعة عندما استقالت وزارة جعفر العسكري الذي كان الهاشمي وزيراً فيها واكتشفت وزارة عبد المحسن السعدون التي خلفتها هذه العملية التي اقدم عليها الهاشمي لاسيما ان نتائجها كانت مجهولة حيث لم يعرف هل سيقبل مجلس الديوان العمومي وان عمله هذا شذوذ عن قانون يقضي على حكومة بلاده ان تسوق هذا الوزير الى الديوان العالمي لينظر هذا الديوان في امره ويقرر ما يقع عليه من تبعات.

وقد بوغت المجلس بموقف ياسين الهاشمي بما انطوت عليه مبادرته من إقرار مخالفته الدستور وطلب بإحالة نفسه الى المحكمة العليا لمحاكمته عن تلك العملية فقرر المجلس تأليف لجنة برلمانية للتحقق بالامر ودرست تلك اللجنة القضية دراسة طويلة اسفرت عن عدم مسؤولية الهاشمي عن قيامه بتلك العملية وان هناك فوائد العراق جراء اقدامه على ذلك العمل لاسيما بعد ان وافق مجلس الديوان العمومي على قبول تلك الاسهم ولاريب ان قيمة هذه المغامرة التي اقدم عليها الهاشمي تكمن في انها انقذت العراق من الدين الثقيل الذي يظل العراق مطالباً به حتى ١٩٥١ تبقى خلالها الموارد المالية للعراق من المارك الالماني والسكك تحت رقابة الهيئة الدولية المرتبطة بمجلس الديوان العمومي كضمانات لتسديد تلك الديون كما تقضي بذلك المعاهدة إضافة الى ان هذه العملية اكسبت العراق سمعة حسنة عززت من المركز المالي.

مواقفه وحدودية ثابته

يقول خالص عزمي ان عام ١٩١٢ يعتبر بداية انطلاقة الهاشمي بتأكيد هويته الوطنية والوحدوية من خلال جمعية العهد التي كانت تمثل الخط العسكري للحركة وجمعية الغربية الفتاة التي كانت تمثل الخط المدني لها فعلى هذين المسارين غذ الهاشمي الركب بحنكة وشجاعة وصبر مع تكتم شديد لكي يساهم في تغذية الفكرة للثورة العربية فلما جاءت الفرصة وقف في دمشق عند اجتماع الشخصيات العربية بفيصل الاول ليؤكد الاستعداد الكامل لإعلان الثورة على النطاقين الشعبي والعسكري وكانت مشاعر الهاشمي القومية قد تجلت عبر مواقف عدة اثناء وجوده في تركيا او سوريا وفلسطين وتبلورت في اول منهج يكتبه لجمعية (العهد العراقي) التي تزعمها حيث اكد استقلال العراق ضمن الوحدة العربية وكذلك المنشور الذي وزع باسمه على ابناء الشعب العراقي اثناء قيام لجنة الاستفتاء الامريكي بزيارة سوريا وعزمها على زيارة العراق.. وفي غضون ذلك نشر سلسلة من المقالات في جريدة نداء الشعب عام ١٩٢٧ وكان تركيزه ينصب على المنطلقات الوحدوية في مجلس الثقافة والتربية فقد كتب يقول (ان على الحكومة ان تجعل المقام الارفع للغة البلاد العربية وتفرض استعمالها في جميع الدوائر والمصالح والمتاجر والمصانع.) وفي مقال آخر ركز على الجوانب المهمة في تاريخ الامة العربية حينما كتب يقول (مادامت الاقطار العربية متحدة في تاريخها ومشاعرها ولغتها وطرق تفكيرها ومتضامنة في الرغبة في التقدم فلا بد من توحيد الطرق للتربية والتعليم فيها..)..

دعم الثورة الفلسطينية

أمر الهاشمي بنقل كمية كبيرة من السلاح والعتاد الى قوات الثورة في فلسطين واوعز الى بعض الضباط كصلاح الدين الصباغ وفهمي سعيد ومحمود سلمان وعز الدين الشوا وغيرهم بالاشراف على تجهيز قوات الثورة بذلك السلاح والعتاد كما عزز تلك المساعدات بدعم مالي كبير . واصدر تعليمات سرية الى بعض المحافظات لتسهيل امر جمع السلاح والعتاد من الاهليين والقبائل وتشجيع التطوع ومناصرة الحملة التي قام بها فوزي القاووقجي عند قدومه الى العراق وقد ازداد تأثير الضباط والجنود في الثورة الفلسطينية ما ادى الى ان تهاجم الصحف الصهيونية آنذاك ومن بينها هاارتس ودفار سياسة ياسين الهاشمي وتطالب بإيقافه عند حده ما دعا السفير البريطاني في العراق كلارك كير ان يقابل الهاشمي ويصارحه بانه على علم تام بان هناك بعض الضباط والجنود العراقيين يعملون في صفوف الثورة الفلسطينية لابعلم الحكومة العراقية وحسب بل بموجب تعليماتها وبالاسلحة والمعدات التي تقوم بتزويد الثورة بها ولكن الهاشمي لم يعر ذلك التفاتاً بل سار على نهجه غير هياب.

الهاشمي رجل المواقف

عرف الهاشمي طوال الفترة التي عاشها داخل الحكم او خارجه بمواقفه الايجابية ولولا تلك المواقف لما انتهجت حياته بذلك الشكل المحزن بعيدًا عن وطنه واهله.. ويروي الدكتور منير بكر جانباً من هذه المواقف..

عندما كان الهاشمي متصرفا محافظا للواء المنتفك كان على اتصال برجالات الحركة الوطنية يبادلها الرأي ويستشيرهم في قضايا عدة وقد وقعت واحدة من هذه الرسائل بيد مدير الامن العام آنذاك اسماعيل حقي الصفار وكانت موجهة الى رشيد ابو التمن جاء فيها: بلغ تحياتي الى جعفر جلبي واخبره بانني بانتظار أوامره وادعو الله ان يوفقنا لطرد المحتلين.. وقد نقل كوكس والمس بيل هذه الرسالة الى الملك فيصل الاول وكانت المس بيل منفعلة حين خاطبت الملك بعنف ووقاحة مدعية بانه لايمكن السكوت والتغاضي عن مثل هذه المراسلات مطلقا فرد الملك عليها مبرراً موقف ياسين (ان ستمائة سنة من العبودية لم تفسح له المجال الكافي له ولغيره من التصرف كأحرار حتى انا افعل الشيء نفسه لو كنت مكانه)..

يذكر ان الهاشمي بعد سقوط وزارته الاولى شكل حزب الشعب وضم بين صفوفه عدداً من الشخصيات التي عرفت بمواقفها البطولية والوطنية كالشبيبيين محمد رضا ومحمد باقر وعبد اللطيف الفلاحي وكان شعار الحزب ملائماً لتطلعات الشعب (الخلاص والتضامن والتضحية غاية اسعد للشعب وتأمين الاستقلال التام والسعي لانماء القوى الوطنية).. وقد تبنى الحزب الدفاع عن القضايا الخاصة بالامة العربية والوطن العربي وكان لزعيمه الهاشمي الفضل الاكبر في مواصلة النضال وتوجيه الشعب بما كان يكتبه في جريدة الحزب (نداء الشعب) بأسمه الصريح احياناً وبأسماء مستعارة احياناً أخرى منها (المنذر) (ي ه) او (ه).

برسي كوكس وحكومة النقيب الأولى

مستشار إنكليزي في كل وزارة يرافق الوزير كظلّه!

فاخر الداغري

نشرت جريدة الشوق لصاحبها حسين أفنان خبر وصول برسي كوكس الى البصرة وأشادت بحفاوة الاستقبال في عددها الصادر في الثاني من تشرين الأول ١٩٢٠.

ولوحت بالآمال الطيبة المعقودة عليه في معالجة الحالة الراهنة في البلاد بعد إنهاء ثورة العشرين.

وحسين أفنان هو من معية كوكس وضمن كادره الذي عمل معه في الخليج ومن موظفيه في بوشهر في ايران قبل سنوات وجريدته (الشوق) هي لسان حال دار الاعتماد البريطاني في بغداد وقد أصبح إفنان فيما بعد سكرتير مجلس الوزراء في وزارة النقيب الأولى.

وبنفس الوقت نشرت جريدة الاستقلال النجفية لصاحبها السيد محمد عبدالحسين الحسني الكاظمي في العدد الأول منها في ١ تشرين الأول ١٩٢٠ ضمن افتتاحيتها الطويلة تبشر الناس بعودة كوكس الى العراق وكانت جريدة الاستقلال لسان حال حكومة الثورة في الفرات الأوسط.

وبعد أكثر من اسبوع وصل السير برسي كوكس الى بغداد واحتفي بمقدمه في محطة قطار غربي بغداد وكان على رأس المستقبلين محمود النجل الأكبر لنقيب اشراف بغداد عبدالرحمن الكيلاني.

وبعد انتهاء مراسيم الاستقبال تقدم الشاعر جميل صدقي الزهاوي وألقى خطاباً ترحيبياً حماسياً استهله ببضعة أبيات من الشعر منها:

عد للعراق واصلح منه ما فسدا
وأثبت به العدل وأمنح أهله الرغدا
الشعب فيه عليك اليوم معتمد
فيما يكون كما قد كان معتمدا
حُييت من قادم أبان حاجتنا
إليه نرجو به للأمة الرشدا
وارأف بشعب بغاة الشرق قد قصدوا
إثارة الشر فيه وهو ما قصدا

ثم حمل على الثورة . ثورة العشرين . وعلى القائمين بها حملة شعواء وذمها ذماً شديداً أنكره عليه الوطنيون وقد رد عليه كوكس بلسان عربي فصيح قائلاً: (يا جميل أفندي ويا أيها المندوبون ان دولة انكلترا أرسلتني للمساعدة والاتفاق مع أشراف ورؤساء العراق لنحصل على الغاية المطلوبة للطرفين وتأليف الحكومة العربية حكومة مستقلة بنظارة دولة انكلترا وجئت لهذا المقصد... الخ.

وبعد ان استقر به المقام وأصدرت وزارة المستعمرات البريطانية أمراً باعتباره المندوب السامي البريطاني في العراق تقاطر عليه الوجهاء لزيارته وراح هو يستطلع رأيهم حول ما يعتزم القيام به لمصلحة البلاد وفي مقدمتها تأليف حكومة من أبناء البلاد تتولى المسؤولية تحت نظارته.

كان في مقدمة زائريه طالب باشا النقيب وساسون حسقيل وعبداللطيف باشا المنديل وجميل الزهاوي والشيخ مصطفى الآلوسي ومزاحم الباجه جي وقد بالغوا في آمالهم المعقودة عليه في تأليف الحكومة المأمولة من أبناء البلاد.

وبعد ثلاثة ايام من وصوله قصد التكية القادرية لزيارة نقيب اشراف بغداد عبدالرحمن الكيلاني وتداول معه في شؤون البلاد وأقنعه في جلسة واحدة بقبول رئاسة الحكومة المؤقتة.

وفي ٢١/ ١٠/ ١٩٢٠ جمع المندوب السامي مجلسه الاستشاري المؤلف من ناظر العدلية وناظر المالية وناظر الانتقال وناظر الداخلية وكلهم من الأنكليز زائد المس بيل سكرتيرة الشؤون الشرقية في دار الاعتماد البريطاني ببغداد وأخبرهم انه ينوي تأليف حكومة مؤقتة وانه سيتعين بنقيب اشراف بغداد ليتولى رئاستها. وبعد نقاش حاد دام ثلاث ساعات أقنعهم على إقامة حكومة عربية مؤقتة في البلاد وفق من يختارهم اليها.

وفي ٢٥/ ١٠/ ١٩٢٠ نشرت جريدة (العراق البغدادية) تأليف الحكومة العربية المؤقتة برئاسة عبدالرحمن نقيب الاشراف وعضوية كل من طالب باشا نقيب البصرة وزيراً للداخلية وجعفر باشا العسكري وزيراً للدفاع الوطني، وعزت باشا الكركوكلي وزيراً للمعارف والصحة وعبداللطيف باشا المنديل وزيراً للتجارة و محمد علي فاضل وزيراً للنافعة والشيخ الباجه جي الآلوسي وزيراً للأوقاف وساسون حسقيل وزيراً للمالية وحسن الباجه جي وزيراً للعدلية.

وحين اعتذر المحامي حسن الباجه جي عن تولي أية مسؤولية في هذا العهد اختار المندوب السامي مصطفى الآلوسي للعدلية وعيّن محمد مهدي بحر العلوم الطباطبائي وزيراً للمعارف والصحة وعزت باشا للنافعة ومحمد علي فاضل للأوقاف.

ثم اختار المندوب السامي اثني عشر شخصاً عينهم وزراء بلا وزارة وبراتب وزير بهدف تكثيف الولاء لبريطانيا وتقليل نسبة الموالين لثورة العشرين والعمل على تقويض أهدافها تدريجياً لأن الهدف غير المعلن من مهمة كوكس هو القضاء على ثورة العشرين بالطرق السلمية.

وكان وزراء الدولة: حمدي باشا بابان، وعبدالجبار باشا الخياط وعبدالرحمن باشا الحيدري وعبدالغني جلبي آل كبة وعبدالمجيد بك الشاوي، وفخرالدين أفندي الجميل عن بغداد. وعجيل باشا السمرمد والأمير محمد الحبيب أمير ربيعة عن الكوت وأحمد باشا الصانع عن البصرة والشيخ سالم الخيون عن المنتفك والسيد هادي القزويني عن الحلة وداود اليوسفاني عن الموصل. وعندما اعتذر حمدي باشا بابان والسيد هادي القزويني عن تولي المسؤولية اختار المندوب السامي الشيخ ضاري السعدون عن المنتفك والحاج نجم البدراوي عن العمارة وقد عيّن حسين أفنان سكرتيراً عاماً لمجلس الوزراء وقد خصص لرئيس الوزراء راتباً شهرياً قدره سبعة آلاف روبية ولكل وزير بوزارة أو بدونها راتباً قدره ثلاثة آلاف روبية شهرياً وحين اعترض طالب باشا النقيب على تشكيلة الوزارة وكان هو المؤمل لرئاستها

النقيب

وقد أحدث ضجة بعدم قبوله واعتراضه ان يكون وزيراً اسكته المندوب السامي بجعل راتبه ستة آلاف روبية شهرياً.. وتم عقد أول اجتماع لمجلس الوزراء في ١٢/ ١١/ ١٩٢٠ برئاسة عبدالرحمن

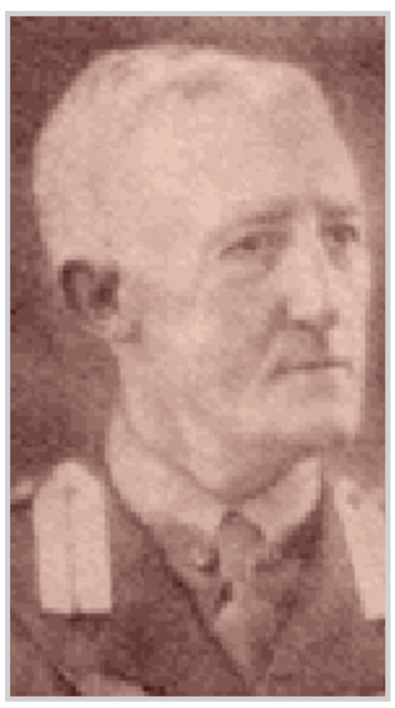
كوكس

النقيب في داره لأنه مقعد وعاجز عن الحركة وحضر المندوب السامي الجلسة الأولى وكان المندوب السامي قد عيّن مستشاراً انكليزياً لكل وزارة يرافق الوزير العراقي كظله..